بنية الشخصيات الثانوية في رو اية الدو ائر والأبواب لـ:عبد الوهاب عيساوي

the structure,Secondary characters in the narrative of circles and doors By Abdul Wahab Al-Issawi

المسعود قاسم[1،*]

1المدرسة العليا للأساتذة سطيف ، (الجزائر)،Messaoudgacem04@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2025/04/04 **تاريخ المراجعة**: 2025/09/19 **تاريخ النشر**: 2025/10/01

الملخص:

تناولنا في هذه الدراسة بنية الشخصيات الثانوية في رواية الدوائر والأبواب " للكاتب الجزائري عبد الوهاب عيساوي " والتي تمثل إحدى البنيات السردية التي يقوم عليها الخطاب الروائي، والهدف الأساسي من وراء هذه الدراسة هو إبراز الدور الفعال للشخصيات الثانوية في اكتمال العمل ونضجه.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات، الثانوية، الرواية،البنيات

Abstract:

In this study b, " the structure Secondary characters in the narrative of circles and doors" By the Algerian writer Abdelwahab Issaoui we examined one of the narrative structures that underpin the narrative discourse, the main objective of this study is to highlight the active role of secondary personalities in the completion and maturity of the work.

***Key words**: Secondary, characters , narrative , structure*

تقديم:

تعد الشخصيات اللبنة الأساسية التي يرتكز عليها العمل روائي، لذا توجب على الكاتب اختيار شخوصه بعناية خاصة الشخصيات الثانوية؛ لأنها تحمل إيديولوجيته وتفعِّل أحداث الرواية من خلال حركيتها الدائمة وتأثيرها على بقية العناصر السردية في اكتمال ونضج المعالم الرواية، وللشخصية الثانوية خصوصية تتميز بها الأعمال السردية عن الأجناس الأخرى للأدب، ومن خلال هذا سنعمل على معالجة الإشكالية التي تمثلت في الآتي: كيف تجلت بنية الشخصيات الثانوية في رواية الدوائر والأبواب؟

* المؤلف المراسل.

أولا: أهمية الشخصية في العمل الروائي:

تتميز الشخصية الروائية بمجموعة من الخصائص النفسية والاجتماعية التي تميزها عن باقي الشخصيات، والتي تختلف من شخصية لأخرى، وكل روائي يتمتع بخصوصية في التحكم في هذه الخصائص أثناء نسجه لخيوط روايته، انطلاقا من المعلومات التي يقدمها عن شخصياته؛ والعلاقات التي تجمع بينهما، وهذا ما يجعلها تتباين وتنفرد عن غيرها، يقول محمد بوعزة في هذا الصدد: " تبنى الشخصية اطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها، أو تسند لها من شخصيات أخرى أو من طرف السارد "[1]، وهو ما يجعلنا تسليط الضوء على شخصيات الرواية من خلال البنيتين النفسية والاجتماعية التي توضحا صفات أي شخصية وعلاقتها بباقي الشخصيات داخل الرواية .

من الروائيين من يحرص على إبراز شخصياته في أدق تفاصيلها "فيهب في وصف طبائعها وتعيين ملامحها، مثلما نجد في الرواية الواقعية والرواية الاجتماعية" [2]، فلا شك أن كل سارد يتعمد اختيار شخصياته بعناية مراعيا في ذلك البنيات سالفة الذكر "فهو يختار من الواقع بعض شخوصه، ثم يجري عليها من التعديل والتغيير، والتحوير، وخبرة الكاتب بالحياة والناس، هي الضرورة التي لا مندوحة عنها ليتسنى له أن يرسم شخصياته بتلك الحيوية، وذلك الصدق الفني"[3].

وتتصف الشخصية بنيتين البنية النفسية التي تتمثل هذه في الجانب النفسي والوجداني للشخصية أي الجانب المضمر الذي يظهر من خلال سلوكيات الشخصية، فهو بمثابة البحث عن الصفات الداخلية الكامنة في النفس؛ من مشاعر وأحاسيس، وعواطف، أما البنية الاجتماعية فهي التي تبرز لنا حالة الشخصية من الناحية الاجتماعية (فقير/ غني)، بالإضافة إلى علاقة الشخصية مع بقية أفراد المجتمع؛ خاصة وأن الشخصية لا تعيش بمعزل عن بقية الأفراد.كما يهتم هذا الجانب بالتوجه الفكري والديني للشخصية.

ثانيا: بنيات الشخصيات الثانوية في الرواية :

1- شخصية السوفي:

انطلاقا من النص الروائي نجد أن الشخصية تنطوي على مجموعة من البنيات انطلاقا من الأوصاف المقدمة من طرف السارد والمتمثلة في:

أ- البنية النفسية:

حاول السارد نقل مجموعة من الأحاسيس، الانفعالات والسلوكات التي سيطرت على أفعال الشخصية؛ وبذلك فإننا نجد شخصية السوفي تعاني جملة من التناقضات في بنيتها النفسية فهو يمارس نوعا من السحر على كل من يلتقي به أو يمر من أمامه؛ خاصة وأن حديثه فيه نوع من المداهنة والتملق هذا ما نلمحه في قول السارد"أهلا يا بركتنا، والله لك وحشة لماذا هذه الغيبة؟" [4]

فهو يحاول بشتى الأساليب سلب الناس بحديثه الذي يكثر فيه المدح والمجاملة وكأنه يبرز نوعا من اللطافة المزيفة.

كما نجده يسعى دائما لتجميل صورته أمام الناس خاصة وأنه شخصية مفرطة في حبه لذاته، لكن في حقيقة الأمر أن هذه الصفة ناتجة عن تدني الشعور بالذات خاصة وأنه يرى نفسه شخصية يعتريها النقص أمام المزابي (أحمد) الذي كان له وزن في ذلك المجتمع بعد شيوع كرامات جده بابا عبد الرحمن، فكان الناس يحترمونه دونما مجاملة، فالنفوذ المادي والمعنوي الذي يتمتع به المزابي جعل السوفي يدرك أن مكانته غير كافية مدام لا ينحدر من عائلة لها كرامات.

صور لنا السارد السوفي كشخصية انتهازية استغلالية من الدرجة الأولى، فهو يسعى لتحقيق مصالحه الشخصية على حساب مصلحة الآخر، وهذا ما نلمسه في قول السارد "اسمع أنت تعرف أني رجل مزواج وذو عيال ونصف أبنائي متزوجون وداري لم تعد تتسع للجميع، ولذلك أنا أريد دارك القديمة "[5]، فهو يسعى لامتلاك دار المزابي بالرغم من أنه يعرف أن تلك الدار هي بمثابة ملجأ للعديد من العائلات التي لا مأوى لها ولجأت إلى دار المزابي للاكتراء.

كان السوفي يتلاعب بالألفاظ وفي الوقت نفسه يحسن التمهيد المطول للموضوع الذي يخدم مصلحته، فهو يتقن اللف والدوران وتشتيت ذهن مخاطبه إلى حد الاستفزاز، وهذا ما نلمسه في حواره مع المزابي حينما أراد أن يفاتحه في موضوع الدار :" أين يا جاري؟ مازلنا نتكلم. . مالي وهؤلاء؟ عندك حق سأدخل مباشرة في الموضوع ولف سيجارة أخرى بسرعة وقال:ابن أخي رحمه الله وطيب ثراه من خير الشباب تعلم وأخذ شهادة البكالوريا الأول على دفعته قاطعه المزابي:. تريدني أن أرحل يا السوفي؟ دعنا من هذا الكلام وقل لي ماذا تريد بالضبط؟ "[6]

نلمس في شخصية السوفي أنه شخصية منغلقة على ذاتها وخصوصيتها؛ إذ لا يحب أن يتدخل أيا كان في شؤونه الخاصة، ولكن عندما يتعلق الأمر بخصوصية الآخر فهو يحشر أنفه ويظهر نوعا من الفضول وهذا ما نلمسه في حوار دار بينه وبين المزابي: "قلت منذ أيام لم أرى جارنا المزابي ولم أعرف أخباره ما الضير لو تحدثنا قليلا؟ شكرا على اهتمامك...ما الذي حدث لجدار دارك لماذا نزعت غلافه؟ البناء من فعل ذلك بحثا عن بقية الشقوق، وهل تنوي إصلاحها؟ سأفعل ذلك ريثما أعثر على بناء آخر، ولكن لماذا تتعب نفسك هكذا لماذا لا تبيع الدار وتأخذ سكنا صغيرا يكفيك؟ "[7]

يعاني السوفي من هوس الاستحواذ على العقارات؛ فهو رجل يتفانى في امتلاك الأراضي والمساكن بغض النظر عن أثمانها، إنه شخصية تعاني من الجشع المفرط والتشبث بالحياة وهذا الجشع يدفعه إلى الشعور بالعظمة؛ خاصة وأنه يرى أن مطالبه ومصالحه الشخصية تتحقق بفضل المال الذي يزين له ذلك، يقول السارد في هذا الصدد: " صارت يده تمتد لكل عقار تشتريه بأثمان غير أثمانه الحقيقية تصل إلى الضعف أحيانا "[8]، لكن هذا الهوس لم يتوقف حد العقارات فقط بل تجاوزها إلى الهوس بالنساء أيضا؛ فكان مولعا بالعنصر النسوي،

وهذا حد قول السارد: "إلا أن الناس تقول عنه أنه لا يترك امرأة مارة إلا ويعريها بعينيه؛ يتمنى لو يضاجع كل نساء المدينة " [9]

كان السوفي يحاول أن يخفي دناءته مع النساء إلا أنها في كل مرة كانت تظهر خاصة مع "ريحانة"، تلك الفتاة التي جننت نصف شباب المدينة؛ فكان السوفي يقضي جل وقته معها وهي تمثل بذلك صورة العشيقة التي استحوذت عليه، كما كان يستخدم أرقى الألفاظ والعبارات مع النساء حيث يقول المزابي عنه:" عالج لسانه عند الحداد ليلين به قلوب النساء" [10]، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تشبثه بالدنيا وشعوره بالنقص اتجاه عائلته فكان يملأ ذلك النقص .

ب- البنية الاجتماعية :

عُرف السوفي بسوء سمعته في المجتمع آنذاك، فشاع عليه الفسوق خاصة إذا تعلق الأمر بالنساء فكان الناس إذا لم يجدوه في المقهى؛ يتبادر إلى أذهانهم بسرعة أنه قضى ليلته في باب الحديد مع ريحانة وهذا نلمسه في قول المزابي: "تكهن المزابي أنه ربما قضى ليلته عند ريحانة؛ صغيرة ومتعبة، وسن السوفي لم يعد يسمح له بمغامرات جديدة "[11]، حيث عكست هذه العبارة طبيعة المجتمع الجلفي آنذاك، الذي كان يرى الفساد والفسوق إلا أنه لم يحرك ساكنا، فكان الناس يكتفون بالحديث ودج الأخبار لكن صعب عليهم الأمر في تغيير ، وتحطيم مثل هذه الصور التي تكسر الأنساق التقليدية المحافظة في ذلك المجتمع ، كما تفطن أفراد مجتمعه إلى النظرة الشهوانية التي تعتريه عند رؤيته للجنس اللطيف، فعلى الرغم من أن هذا الفعل ينافي الطبيعة الإنسانية؛ بصفة عامة والرجولة والاحترام بصفة خاصة إلا أنه بقى على حاله، أما بالنسبة لأبنائه فعرفوا بحسن سلوكهم وتربيتهم فتمتعوا بمكانة اجتماعية رفعت من سيطرة السوفي حيث يقول المزابي في هذا الصدد:" رغم فسوقه عرف كيف يربي ذا السوفي أبناءه "[12]

كان السوفي كثير التباهي بماله بين أقران مجتمعه فكان يشيع الولائم والعزائم، بين الحين والآخر في بيته معلنا للناس ما يملكه من مساحة واسعة وأثاث فاخر.

بعد عودة السوفي من الحج تغيرت حالته وملامحه، فمثلت شخصية السوفي ذلك التناقض والتنافي بين حب المادة من جهة، ورضوخ الروح واستسلامها من جهة أخرى كما مثل نموذج الإنسان المعاصر؛ الذي أغرقه التمدن والتحضر وأغرته الماديات وانتزعت منه المبادئ وطغت المادة؛ لكنه سرعان ما مد أواصر الاستسلام الروحي والتوبة والرجوع إلى الله تعالى.

2- شخصية جالا:

أ- البنية النفسية:

تتميز"جالا" بكونها فتاة سريعة الانتباه والتفطن، هادئة في السلوكات الصادرة عنها، فكانت أول فتاة رصدت أحمد(المزابي) في غياهب الظلمة؛ عن طريق نظرات تخللها نقاء "التفت إحداهن تجاهه ارتخت رجلاه كانت عيناها

ترقبانه ولا تراقبانه "[13]، لذلك اكتفت جالا بسحب أحمد عن طريق السحر الذي كانت تمارسه بعينيها، كانت جالا أشبه بتعويذة لا يفك طلاسمها إلا أحمد الذي استجاب لها بنفس الطريقة والكيفية.

تجمع هذه الشخصية بين البراءة والطهر، والبساطة والتواضع؛ فهي شخصية تعد رمزا للصمود لأنها تعايشت بأنوثتها مع تلك الطبيعة القاسية، وكابدت عناء التيه والترحال مع تأقلم دون شكوى فهي تعكس القوة و التحمل في مواجهة الصعاب وتجسد الأمل والعاطفة في الآن ذاته.

كما نجدها فتاة مندفعة تعشق المغامرة والتحدي؛ وهذا ما نلمحه في قول السارد: "قفز عدة قفزات إلى الأمام والخلف جعلت الراقصات يبتعدن قليلا عنه ولكنها اقتربت منه بالعنفوان نفسه ... اقتربت منه أكثر "[14].

اتسمت "جالا" بكونها شخصية عاشقة وهائمة، مراهقة تتأثر بالاهتمام والانجذاب، فكانت نظراتها لأحمد في كل مرة بمثابة استنجاد، فتشبثت به واستسلمت أمامه رغم ما تظهره من قوة، لذا يمكن القول أن جالا شخصية مفعمة بشغف أحمد وحبه لأنها وجدت فيه المعادل للأمان والاستقرار، وهذا ما مكنها من التخلص من عقدة الكتم التي كانت تعتريها من خلال الاستسلام له؛ فعند لقائها مع أحمد كانت تحدثه عن ذلك الحب الذي نما بداخلها تجاهه، وفي الوقت نفسه اكتشفا تجاذبا وتوافقا بينهما، كما قطعت عهدا على إكمال المسير معه حتى النهاية، خاصة وأن أي فتاة في عمرها تحلم بالزواج وتكوين أسرة، هذا المفهوم الذي لم تستطع جالا أن تعيش فيه وهذا ما نلمسه في قول السارد " راقبت نومته المليئة بالأحلام السيئة ... أمسكها من يدها سحبها نحوه بقوة وحضنها طويلا ثم تركها وتراجع إلى الوراء متأسفا، وخجلت هي الأخرى من اندفاعها وعدم معارضتها له "[15]، اكتسبت جالا طابع الجرأة التي وصلت بها لحد كشف المسكوت عنه والمخفي في عيني أحمد وهو إعجابه الشديد بها.

يمثل أحمد مصدرا للسرور والفرح لجالا وهو الشيء الذي دفعها للتمسك بالحياة رغم طول صبرها على القساوة والتيه، و توج هذا الصبر في نهايته بقصة حب بدأت من نظرة عميقة رسمت لها حياة الصحراء بألوان زاهية وصولا إلى التتويج بالزواج، فكان كل لقاء يجمع بينهما يتيح لكليهما فرصة التجرد من العادات والتقاليد والسلطات فلا شيء يعلو فوق سلطة هذا الحب، وفي الوقت نفسه كانت جالا تمثل بالنسبة لأحمد رمزا للحرية خاصة وأن الإنسان بطبعه يتوق إلى الاستقلال الذاتي والهروب من سجن القصر والواحات ذلك المكان الذي طالما تقيدت فيه الأحلام وتفلتت فيه الأوامر والنواهي بين سلطة الأب بابا عبد القادر وسلطة الأعراف والتقاليد.

ب- البنية الاجتماعية :

تنتسب جالا إلى قبيلة "بني عيداس "والذين كانت سمتهم الأساسية هي الترحال والمبيت في عراء الصحراء، فلا منازل ولا عقارات تأويهم من البرد أو الحر سوى مجموعة من الخيام المتجاورة والمتنقلة. ولهذا ألفوا الصحراء وألفتهم، مرتحلين فيها مخلفين وراءهم ضوضاء المدن، كانت وسيلتهم في ذلك الجمال ومختلف أنواع الحيوانات، فكانوا يرتحلون من منطقة إلى أخرى إلى أن تحط بهم الرحال في منطقة معينة.

تنحدر من عائلة فقيرة فنجدها عانت من قسوة الحياة وظلمها، فبدل أن تحظى بحياة الراحة مثل قريناتها في العمر، إلا أن القدر رماها في غياهب الصحراء فترعرعت في الفقر والاحتياج في بيئة اجتماعية تقليدية تحكمها قيم وعادات، مسار معين في الحياة فكانوا يتمتعون بمهارات قوية في التنقل والبقاء في الصحراء بالإضافة تحمل قساوة الظروف المعيشية نتيجة لاعتيادهم.

كان هم " بني عيداس" التيه والترحال في النهار ، أما في الليل فكان شغلهم الشاغل هو الرقص على أنغام الدفوف والصيح خلف جرار اللاقمي، " ألفة المكان هي التي تجعلنا نغني له ونرقص أيضا "[16]، وكانت هذه الاحتفالات تعمل على تعزيز الروابط الاجتماعية بينهم، ففي هذه البيئة نمط معين من العادات والتقاليد فهم عادة ما يتزوجون عرفيا عن طريق رقصات وطقوس محددة تمكنهم من التواصل فيما بينهم فلا يحتاجون بذلك إلى عقد رسمي أو وثيقة تثبت الزواج، فهمه أحمد أن ما فعله مع الراقصة لم يكن إلا مثل ما تفعله بعض الطيور في مواسم التزاوج، فالرقصات التقليدية تعبر عن ألفتهم للمكان والاحتفاء به.

يعد الحب الذي نشأ بين أ حمد وجالا بمثابة الجمع بين متضادين ونوعا من الخرق الاجتماعي، فالوسط والبيئة التي ترعرع فيها أحمد كانت مشبعة بالقيم والمبادئ والتحفظات وإلزامية حفظ القرآن، في حين أن الوسط الذي نشأت فيه جالا كان فيه إطلاق للحريات وتضاد في القيم وبعض، وبذلك تكون جالا قد عكست نموذج الفتاة التي خرجت من ظلمة الرحم إلى ظلمة الحياة وبالتحديد ظلمة الصحراء فما تزال حبيسة الأفكار إلى أن صادفها نور أحمد الذي جعلها تفكر في حياتها وفي تكوين أسرة، هذا المفهوم الذي لم تستطع تصوره نتيجة لليتم الذي عاشته.

3- شخصية الوصيف (عبد الله):

أ- البنية النفسية:

تميزت شخصية الوصيف بكونه من القلائل الذين كانوا يفضلون الابتعاد عن الناس ويتحاشون أخبار الناس الأخرى، إذ كان مكتفيا بنفسه وبإعالة عائلته التي كانت إحدى أهم أولوياته "رجلا في حاله يمشي بجانب الحائط من الدار إلى الدكان "[17]، وهذا يوحي إلى أنه يخشى المخالطة، فكان وقته بين الدار والعمل، متوخيا في ذلك خطواته، منظما في حركاته مجتنبا المشاكل، فاكتفى بعمله بعيدا عن شر البشر؛ باحثا عن الهدوء والاستقرار، وهذا كله ناتج عن وعي من تجربة مر بها.

كان الوصيف شخصا محترما وهادئ في طباعه ومعاملته مع الناس، يتحاشى تكوين صداقات أو معارف إلا في إطار عمله وذلك بحكم أنه غريب على تلك المنطقة، فكان يعيش نوعا من الاغتراب الذاتي وحاول التعايش والتكيف معه بكل الطرق.

كما نلمحه يتمتع بسعة قلبه ووفاء للمزابي بحكم جيرتهما لسنوات:" ومن وجهه استطاع الوصيف أن يتكهن أرقه، ومثل الهدية سقطت عليه من السماء استقبله وأدخله الغرفة بحفاوة "[18]، وبحكم تقاربهما في السن فجمعتهما صداقة كانت في بدايتها صدفة، وكان الوصيف في كل مرة يقدر ذلك الخير الذي قدمه له أحمد في بداية

قدومه إلى الجلفة فمن باب اللطف تكفل أحمد بكامل مسؤوليات سالم ابن الوصيف منذ الصغر إلى غاية بلوغه الجامعة.

عاش الوصيف حبيسا لأفكار الماضي الذي بقي دفينا في ذهنه، يتموقع فيه ركن مظلم مما تسبب له في عقدة نفسية أو بالأحرى تأزم نفسي؛ خاصة بعد أن تعرض لموقف جعله ينسحب من الحياة العامة ذلك الموقف الذي كان دائما يستفز مخيلته، ويفتح جروحا لم تندمل بعد، فمزال يعيد شريط الماضي، اعتمد السارد في ذلك على جملة من الاستباقات والاسترجاعات اللاشعورية للوصيف والعمل على المزج بينها.

أراد الآغا في زمانه أن يذله وأن يعتبره خادم لجواده، فكان يعامله بأبشع الطرق وينعته بأقسى الأوصاف وألصق به لقب "الوصيف" والذي يعني الخادم، إلا أن الوصيف رد اعتباره ولقن الآغا درسا لن ينساه، وهذا ما تجسد في مشهد بطولي، بقي عبرة لكل من أراد التسلط والجبروت في زمن ولى فيه عهد الاستعمار، فبين للآغا أنه ليس مملوكا، صاحب موقف شجاع وأنه يريد حياة شريفة عن قناعة، فشخصية عبد الله تعكس نوعا من التمرد، لا يأبى الذل والانقياد أو التردد حتى وإن كان العمل شريفا لكن لا يرضى بالاستكانة، فعزة النفس التي تربى عليها جعلته لا يرضى بأن تسلب حريته أمام عينيه. فهذا الموقف أيقظ في عبدالله نوعا من الشجاعة والجرأة وأظهر القوة التي كانت تسكن بداخله فكان بمثابة قدوة للعمال وسببا في تثويرهم وفتح المسار لمن بعده؛ فكسروا قيود الخوف من الآغا وأحرقوا الإسطبلات وأخذوا الأحصنة ولاذوا بالفرار؛ بعد ذلك الموقف فقد الوصيف الشعور بالأمان والاستقرار بقي ذلك الشعور يطارده كشبح يخاف الرجوع في كل مرة إلى ذاكرته.

اكتسب عبد الله لقب الاحترام بعد تلك الحادثة، إلا أن لقب الوصيف بقي يلازمه مع إضافة كلمة سي في مقدمة هذا اللقب: " الآغا ورثني المذلة ورددتها له ولكنه ورثني لقبا وبقي لصيقا بي"[19]، هذا يعني أن الوصيف كان متصالحا مع ذاته، فبالرغم من أنّ اسمه الحقيقي عبدالله إلا أن المجتمع تجاوز اسمه لينعته بالوصيف ولم يبد ردة فعل على ذلك، وإنما كان يستغرب إذا ناداه أحد باسمه الحقيقي "عبد الله" .

وتجدر الإشارة أن تسمية لوصيف لابنه تنم عن محاولة منحه للحياة التي حرم منها، وهو بذلك يتحسس نوعا من الاستقرار وكأنه يحتمي بوجود ابنه،" فهو عمل على أن يؤسس من البنية السطحية لهذه المشتقات انعكاسا مباشرا لما تعنيه على مستوى البنية العميقة، وكانت هذه إحدى عادات العرب في تسمية ولدانهم بأسماء ذات علامات سيميوطيقية لأنهم يسمونهم لأعدائهم " [20]، إذ يقول السارد:" ماذا أسميت ابنك؟ أسميته سالما ليسلم من الأذى؟ أي أذى يا رجل نحن في زمن الأمن؟ الأذى الذي طارد والده لسنوات ونجا منه بأعجوبة"[21] وهنا يتبادر إلى أذهاننا كون سالم يمثل المعادل الموضوعي لمفهوم الأمان والهدوء الداخلي بالنسبة للوصيف الذي عاش ماضي ملوثا بالإهانات والشتائم، وكان سالم يمثل امتدادا لماضي أبيه في صورة الاستقرار والأمن.

ب- البنية الاجتماعية:

عكس الوصيف نموذج الطبقة البسيطة، رب لأسرة كان بكره الأكبر يدعى سالم وهو موظف في البلدية، انتقل من مدينة جانت للعيش والاستقرار في الجلفة .

ينحدر الوصيف من عائلة متوسطة المدخول، فكان يعمل على إعالة العائلة ولهذا لم يعتل مناصب كبيرة أو مراكز قيادية، كان في المقابل يصارع عناء الحياة لكسب لقمة العيش، وهذا حد قول السارد : " أنت تعرف الحال هذه الأيام متوقفة بعض الناس تخلو عن الكي بعد أن اشتروا مكاوي، وبعد شهر أو اثنين لن يدخل أحد المحل"[22] فأولى خطواته عمل كمرافق لخيول الآغا، ثم ليعدل عنها ويصبح مكواجي للملابس، " خلف الطاولة وقف الوصيف ممسكا مكواة كبيرة، يمررها فوق معطف خشن أمامه تصاعدت الأبخرة منه " [23] كان يزاوله كنشاط يومي يعمل على تجفيف الملابس وتخليصها من تلك التجاعيد التي تعتريها، مقابل فرنكات بسيطة يسد بها عناء اليوم؛ لكن سرعان ما تخلى عن هذا العمل بعد أن كبر ابنه سالم واستلم مشعل المسؤولية عن والده وهذا ما يعكس بساطته في العيش .

لم يكن للوصيف بيت مستقل لذلك كان يكتري منزلا عند المزابي، عاش نوعا من الفقر لم يجد في بداية الأمر منزلا يحتمي إليه من البرد والجوع والغربة إلى أن تقاطع مع المزابي في أحد الدكاكين وعرض عليه المزابي منزله للإيجار وسط الدار الكبيرة، وسط جو محافظ فتعلق بشدة بالدار وسكانها.

فهذه الشخصية توحي لصورة اجتماعية (قضية الاستعباد) التي كانت ولا زالت إلى يومنا هذا فالزمان كفيل بأن يعيد نفسه، فاستهدف الكاتب توظيف نماذج مثل الوصيف لإيصال فكرة محددة، أو ربما طرح قضية اجتماعية ألا وهي الظلم الذي كان كفيلا بأن يغير حياة إنسان بأكملها، لذا استهدف السارد من خلالها تفجير طاقة الوعي الكامنة في الشخصية، وبثها من خلال ردود الأفعال الصادرة عنها خاصة كون الشخصية كيان شعوري ولاشعوري.

4- شخصية الشيخ:

ظهرت هذه الشخصية الثانوية بشكل فعال في ماضي أحمد، ولعبت دورا رئيسا فهو زعيم قبيلة بني عيداس، كان لقاؤه الأول مع أحمد عندما لمحه الشيخ وهو يختلس النظر إليهم عندما كانوا مجتمعون حول النار فأحضره إلى جانبه وطلب منه العودة إلى منزله في القصر والواحات بعد المكوث قليلا مع قبيلة بني عيداس، عرّاف ومشعوذ تعامل مع الجن الذي كان يسكن الديار التي كان يذهب إليها أحمد.

أ- البنية النفسية:

يتسم الشيخ بطابع الهدوء لا يظهر انفعالاته في العموم، حكيم يفكر مليا قبل اتخاذ القرارات – فهو في النهاية زعيم القبيلة- وتسيير الأمور العامة المتعلقة بأفراد قبيلته وشؤونها، هذا ما يظهر عندما أمر أفراد القبيلة بالرحيل السريع نتيجة تحذير أحمد عقب التهديد والكراهية التي يحملها سكان الواحات والقصور ضدهم.

شخصية لم تفكر هذه الشخصية في إيذاء أحمد بل تريد مصلحته حيث أخبره بإمكانية عودته إلى الواحات في حال أراد ذلك، عندما أخبره المزابي أنه يريد الذهاب معهم، منح له فرصة الاختيار والحرية في اتخاذ

القرار، وكذلك فسحة من الوقت ليراجع ما عقد عليه عزمه وإمكانية التراجع عنه، هو من منح الخاتم لأحمد" سحب العجوز من جيبه خاتما فضيا به حجر ملحي أبيض....لم يزد عن مقاسه....هذا الخاتم لن يكون إلا لأحمد"[24]، من خلال الدعوة للالتحاق بخيامه ثم تقديم النصيحة للعودة إلى الديار "لا بأس ستقضي الليلة هنا تحتفل معنا، لكن عدني بأن لا تعود إلى هنا مرة أخرى"[25]، جاءه شخص في المنام وكشف له الأحداث المختلفة التي ستجري مع أحمد وكيف ستكون نهايتها كما أمره بعدم البوح بأي شيء مما رآه أو سمعه عن تلك الأحداث، للشيخ هيبة واحترام كبيران فلا يدخل أحد خيمته إلا بعد الاستئذان، مكانه عند الرقص محدد فهو يجلس في المكان الذي يرى فيه جميع أفراد القبيلة، ولا يتجرأ أحد أن يجلس فيه، يمتثلون لأوامره ويطبقونها دون استفسار أو نقاش معه، يضعون ثقتهم الكبيرة فيه، وفي نفس الوقت يدركون أنه على علم مسبق بكل ما يحدث أو سيحدث بحكم وراثته ممارسة السحر والشعوذة، مما يجعلهم لا يخبئون أشياء عنه، فيحمل الشيخ بهذا محل الشخصية التي تتسم بطابع الثقة وفي نفس الوقت حل مختلف المشكلات ومواجهتها.

ب- البنية الاجتماعية:

يمثل زعيم قبيلة بني عيداس، وهي مجموعة قبائل متنقلة، يعيشون على الاحتيال والسرقة، والطابع الغالب على هذه القبيلة هو ممارستهم للسحر و الشعوذة، والذي اكتشفه أحمد عندما تبع الشيخ الذي كان "يراقب الدار ويتمتم بكلمات لم يفهمها .....ارتفع صوت الشيخ مرددا كلمات لأول مرة يسمعها مغيرا صوته بطريقة مختلفة ثم تناهى إليه صراخ غير مألوف...قدم إليه حاملا جرة مسدودة بإحكام....ما بك مغبر هكذا ؟هل كنت تتعارك؟"[26]، هنا ربط للسياق الثقافي للمجتمع الجزائري بماهية الشخصيات، فهي أقرب منها للواقع أكثر من الخيال .

5- شخصية الأغواطي:

من الشخصيات الثانوية، صديق الشخصية البطلة "المزابي" تعتبرها الأب الروحي و الموجه لها وحتى الحبل الذي تمسك به ليصعد من حفرة التيه والضياع التي كان فيها، وفي نفس الوقت والد الفتاة التي يحبها أحمد عزوزة، تعرف عليه أحمد في دكان اليهودي عندما أراد الأغواطي أن يستبدل فرنكاته الذهبية بأخرى مالية فتجاذبا أطراف الحديث، أثناء ذلك عرف المزابي أن الأغواطي يبحث عن دار ليستأجرها فعرض عليه الإيجار في داره بالجلفة، بعدها قبل الأغواطي عرض المزابي وانتقل ليسكن رفقة ابنته عزوزة في الدار التي كان يسمع عنها الكثير من القصص فترة وجوده في الزاوية التيجانية، فعاش بذلك خمس عشرة سنة في الجلفة "أيام استقر هو وابنته الأرملة في الجلفة"[27]، أصابه مرض شديد في نهاية الرواية لم يشف منه فتوفي على إثره.

أ- البنية النفسية:

شخصية متدينة تحفظ القرآن و لها ورد تقرأه كل يوم "دام ورد الأغواطي أكثر من صلاته بدأه بصوت مسموع يخفت مع كل إعادة حتى صمت"[28] ، لم تقتصر شخصية الأغواطي في الرواية على قراءة القرآن فقط بل تعداه ذلك إلى القيام بأفعال مرتبطة بالشريعة الإسلامية مستمدة من القرآن والسنة النبوية "قرأ دعاء الدخول

وخطى برجله اليمنى إلى الأمام" [29]، كما أدى الصلاة واقفا رغم أنه عاجز عن القيام والحركة، فجعل من القرآن ونهجه طريقة لحياته، وهو أيضا طيب القلب عطوف على من حوله ،فقد بلغ به السبيل إلى أن يغير ولايته ويترك البقعة التي ترعرع فيها فقط من أجل أن يدخل البهجة على قلب ابنته الأرملة الحزينة التي أصابها اكتئاب بعد وفاة عريسها يوم عرسها، متمنيا بذلك تغير أحوالها، هذه الطيبة و الرقة في التعامل تظهر أيضا في مواقف مع أحمد، فعندما كان في حالة سكر كان يأخذ بيده موصلا إياه للمنزل ويعتني به، "كان يعامل أحمد بطريقة جيدة أثناء سكره حتى خجل أحمد منه وقرر ألا يشرب ثانية"[30]، ولم يعاتبه في فترة صحوه عن أفعاله أو يتذمر منه ولم ينهه ليترك معاقرة الخمر و يبتعد عن هذا الفعل الذي لا يرضي الله والذي بسببه لا تقبل صلاة المرء أربعين يوما، من هنا يتضح أن الأغواطي كان السبب الرئيسي في توقف أحمد عن الشرب إذ خجَلُ هذا الأخير منه جعله يتوقف عن أمر مذموم مستقبح، وبالتالي فهو يمثل القوام والصلاح أي الحلقة الناقصة والركيزة الأساسية التي كانت تفتقر إليها الشخصية البطلة لتحقيق الاستقرار والطمأنينة، أما عن تفاصيل وجهه التي تذكره بجده، جعلت أحمد يستشعر منه الأمان،الدفء،اولحنان الذي حرم منه سواء من والده أو بعد وفاة جده، "وبدت له تقاسيم وجهه مثل جده شعر أن روحه هدأت حين تكلم إليه وزاد سروره عندما طلب منه المساعدة في البحث عن دار يستأجرها"[31]، الشيء نفسه بالنسبة لأحمد إذ "يعرف المزابي أشياء كثيرة عن حياة الأغواطي بحكم العلاقة الحميمة التي ربطتهما...ولطالما كان في مقام والده"[32]، فهو الأب البديل لذلك الأب "بابا عبد القادر"المتسلط المتشدد الذي لا يحاول فهم أفكار ابنه ولا حتى تقبلها بل ولا يمنحه الحرية حتى في اتخاذ القرارات المرتبطة بزواجه أو طريقة عيشه، لكن الأغواطي منحه الحرية ولم يجبره، هذا الأمان يجعل الأغواطي المكان الآمن المريح والمتنفس والملاذ الروحي عندما تثقل الحياة كاهل أحمد ويتحمل منها مالا يطيق صارت المكان الذي يمكن أن يفرغ فيه شحنات الحياة الإيجابية والسلبية، كما لعبت دور المساعد من خلال النصائح "يمنحه النصح كلما احتاجه" [33]، والتي يقدمها له عند طلبه المشورة حول الهموم و الأحمال التي كانت تثقل كاهله نتيجة محاولة أخذ الدار منه.

شخصية يكتنفها ويلفها نوع من الغموض، فقد كتم أمورا يعرفها عن الدار التي كان يتتبع أخبارها عندما كان في الأغواط، لكنه لم يخبر بها أحمد،"لاحظ أن الأغواطي كان عليما بأشياء دقيقة وتفاصيل تحيره في كل مرة"[34]، لم يكشف عنها حتى وقع المزابي في مشكلة إحضار التصريح الذي يؤكد ملكيته للدار، الأغواطي شخصية رزينة متوازنة نفسيا لا تعطي المشكلة أكثر من حجمها وتمنح الآخرين المعلومة المناسبة في الوقت الذي تحتاجه، فهي تراعي الموقف وتتفهم ما تمر به الشخصيات الأخرى لا تفكر كثيرا في المعضلة التي تعاني منها وإنما تفكر أكثر في الحلول والإجراءات التي ينبغي اتخاذها لإنهائها ووضع حد لها.

شخصية زاهدة في معيشتها لا يهمها سوى الشيء القليل من هذه الدنيا، فهي تهتم بالشيء المعنوي أكثر من ما تهتم بالمادي المحسوس، فبالنسبة للأغواطي علاقته مع ربه و سعادة ابنته كافية لتجعله راضيا سعيدا هانئ البال، الأغواطي مانح الأمل و المشجع الأكبر، فهو اقتنع بأن لا أحد يمكنه أن يأخذ الدار منه فكان يثلج صدر المزابي بمنحه أملا في وجود أوراق تؤكد ملكيته للدار مما أثار في نفس أحمد دافعا وحافزا قويا لاستكشاف الدار والبحث في كل ركن من أركانها عن تلك الأوراق.

ب- البنية الاجتماعية:

ورد في الرواية كونه طالبا في الزاوية التيجانية، "صحيح إنني كنت يومها في الأغواط ولكنني كنت أتتبع أخبار الدار من طالب في الزاوية التيجانية"[35]، والد لفتاة أرملة، يبدو وضعه المادي لا بأس به بحيث تمكن من الانتقال من ولايته ومسقط رأسه الأغواط إلى ولاية الجلفة "ذلك اليوم الذي دخل فيه إلى دكان اليهودي ليستبدل الفرنكات الذهبية بأخرى ورقية رأى الأغواطي لأول مرة"[36]، ويعد الذين يمتلكون الفرنكات الذهبية يعدون من الأغنياء في تلك الفترة الزمنية، وهنا إشارة إلى وجود تواصل مع اليهود في المعاملات المالية أثناء وجودهم ودكاكينهم في الجزائر حيث أصابه مرض شديد لم يستطع أن يأكل بسببه "إنه لا يستطيع أن يأكل فتح فمه كان شديد الاحمرار وكأنه ملتهب"[37] في أيامه الأخيرة "وجد عزوزة جاثية قرب والدها، تصرخ وقد امتدت يداها إليه لتحركه، بينما كانت روحه قد فارقت جيده....وقبل أن يعود إلى الدار سمع صوت المؤذن يصدح، بأنه في هذا اليوم قد مات الأغواطي وأن صلاة الجنازة تكون بعد صلاة العصر... غادر إلى المقبرة الخضراء" [38]، اختيار اللون الأخضر للمقبرة لم يكن عشوائيا، هذا اللون هو مفضل لدى أهل التصوف والزهد ... يرمز للخصب في الحضارات القديمة كما" ارتبط هذا اللون بالربيع والنمو، واستخدم في الشعارات والسنة النبوية، علم الإسلام أخضر، الأخضر شعار التحية ورمز للغنى المادي والروحي، ورمز الحياة والخصوبة والشرف(مازال بعض الأسبان يضعون شارات خضراء على قبعاتهم علامة للشرف وقد ورثوها عن العرب)...إنه لون الجنة ولون الحياة....كما يرمز الأخضر إلى الفكر الديني للخير والإيمان....الكساء الذي أرسله الله لتغطية نبيه وال بيته (علي،فاطمة،الحسن،الحسين) كان أخضر[39]"، وكان الأغواطي يمثل تلك الشخصية صاحبة الفكر الديني القويم التي كانت تتقي الله وتتزود روحيا بأعمالها الصالحة الشريفة والمحافظة على الصلاة بغية الفوز في الآخرة ودخول الجنة، وإحساسه باقتراب أجله أكبر دليل على ذلك فقد قال لأحمد: "لم يبق لي شيء إن هو إلا يوم أو اثنان وتعود الأمان وإلى صاحبها"[40]، وشخصية الأغواطي شخصية مسطحة تمضي على حال واحدة لا تكاد تتغير في عواطفها ولا تتبدل خلال أطوارها حياتها بصفة عامة.

خاتمة:

نرى أن الشخصية الثانوية في هذه الرواية مركبة من بنيتين تمثلتا فيما يلي : البنية النفسية، البنية الاجتماعية، وكذلك نجد الروائي مزج السارد أثناء اختيار شخصياته بين الشخصيات الذكورية والأنثوية لكن ما يلاحظ أن توظيفه للنوع الأول كان أكبر من الثاني وهذا راجع لإيديولوجية المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع الجلفاوي بصفة خاصة في تفضيل الذكور على الإناث خاصة في تلك الحقبة من الزمن.

حملت بعض الشخصيات بعدا جغرافيا من خلال اختلاف الأمكنة ونسب الشخصيات لها مثل الأغواطي، المزابي، السوفي، كما استحضر قبيلة بني عيداس أثناء فترة الاستعمار التي كانت موالية له وأهم ما يمثلها من تصرفات كالسحر والشعوذة.

ساهمت بعض الشخصيات بشكل مباشر وغير مباشر في التأثير على الأحداث التي مرت بها الشخصية الرئيسية ودفع عجلتها نحو الأمام، من خلال مساعدتها في إيجاد الحلول والتمسك بالأمل أو خلق المشاكل والتسبب في العقد .

هوامش وإحالات المقال

[1] محمد بوعزة،تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ،الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان،، ط1، 2010،ص 40.

[2] المرجع نفسه،ص 43.

[3] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، دراسة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،ط1، الرباط، 2010 ص175.

[4] عبد الوهاب عيساوي، رواية الدوائر والأبواب، دار ميم للنشر،ط1،الجزائر،2018،ص 50.

[5] الرواية ،ص 52

[6] الرواية ، ص 11

[7] الرواية ، ص 51

[8] الرواية ،ص 52

[9] الرواية ص 22

[10] الرواية ، ص 39

[11] الرواية ، ص 37

[12] الرواية ، ص 09

[13] الرواية ، ص 17

[14] الرواية ، ص 76

[15] الرواية ، ص 160

[16] الرواية ، ص 138

[17] الرواية ص 34

[18] الرواية ، ص 80

[19] الرواية ، ص 81

[20] عبد الجليل مرتاض، دراسة سيمائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات ثالثة 2005 الابيار الجزائر ص 12

[21] الرواية، ص 81

[22] الرواية، ص 43

[23] الرواية ، ص 33

[24] الرواية، ص31

[25] الرواية ، ص18

[26] الرواية ، ص189

[27] الرواية ،ص20

[28] الرواية ، ص 20

[29] الرواية ، ص 60

[30] الرواية ، ص230

[31] الرواية ،ص 226

[32] الرواية ،ص20

[33] الرواية ، ص20

[34] الرواية ، ص 229

[35] الرواية، ص 205

[36] الرواية، ص226

[37] الرواية ، ص 229

[38] الرواية ص234

[39] كلود عبيد، الألوان دورها تصنيفها مصادرها رمزيتها دلالتها،محمد حمود،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات النشروالتوزيع، بيروت،2013 ،ص9،95،94

[40] الرواية ،ص228